





## المنظمة العالمية لخريجي الأزهر

مُشروعُ تَفْنِيدِ الْفِكْرِ الْمَتَطَرِفِ سلسلة: تفنيد الفكر المتطرف (١٨)

المشرف العام كتاب: مفهوم الفرقة الناجية

أ. د. محمد عبد الفضيل القوصي مؤلف: أ. د. إبراهيم صلاح الهدهد

رئيس مجلس الإدارة

أسامة ياسين رقم الإيداع: ٩٩٧٦ / ٢٠١٩

المدير العام

د. حمد الله الصفتي الترقيم الدولي: 6-11-6700-977-978

### تحذير

جميع الحقوق محفوظة للمنظمة العالمية لخريجي الأزهر الشريف، وغير مسموح بنشر، أو إعادة نشر، أو إنتاج الكتاب أو أي جزء منه، أو تخزينه على أجهزة استرجاع أو استرداد، أو تسجيله على أي نحو، بدون موافقة كتابية مسبقة من المنظمة.

المنظمة العالمية لخريجي الأزهر الشريف

مشروع تفنيد الفكر المتطرف

جامعة الأزهر - الحي السادس - مدينة نصر

هاتف: +٢٣٨٦٨١١٤٢٠٢

فاكس: +٢٣٨٦٨١١٦٢٠٢

بريد إلكتروني: info@waag-azhar.org

موقع إلكتروني: www.waag-azhar.org



المنظمة العالمية لخريجي الأزهر  
The World Organization for Al-Azhar Graduates  
مشروع معهد الفكر المعظم

سلسلة تفنيد الفكر المتطرف (١٨)

# مفهوم الفرقة الناجية

حتمية التنوع والاختلاف وأهمية الاتحاد

تأليف

أ.د. إبراهيم صلاح الهدد  
رئيس جامعة الأزهر الأسبق

تقديم

أ.د. محمد عبد الفضيل القوصي  
عضو هيئة كبار العلماء  
نائب رئيس المنظمة العالمية لخريجي الأزهر



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تَقْدِيمٌ

بقلم أ. د. محمد عبد الفضيل القوصي

عضو هيئة كبار العلماء بالأزهر الشريف

في كل قضية تحتمل تعدد وجهات النظر: يجد المتأمل نفسه بين طرفين يقف كل منهما على النقيض من مُقابلِهِ، حيث يقوم كل منهما بنفي الآخر وهدمه هدمًا كاملاً بلا عدل ولا شفاعة، وكيف لا .. وكل منهما لا يرى في نقيضه - بعين السخط - إلا سوادًا فوق سواد، وسوءًا فوق سوء، ويفقد الحوار بينهما - يومئذ - مصداقية الحق، وسماحة الإنصاف، وفضيلة الاعتدال!!

لقد مرَّ التاريخ الفكري الإسلامي - في شتى عصوره - حيال فهم نصوص الكتاب والسنة بطرف ركب متن الشُّطط في التمسك بمنهج الفهم الظاهري الحُرْفِيّ - بل الحِسِّيّ - لتلك النصوص الكريمة دون الالتفات إلى أعماقها ودلالاتها المعرفية والشرعية والبلاغية؛ فإذا بهذا الشُّطط وقد أدى بأصحابه إلى إغفال «شطر الحسن» في القرآن الكريم

- على حد تعبير الزركشي - ذلك الشطر المتمثل في المجازات والتأويلات، وفي إدراك عمق الأحرف والكلمات والدلالات؛ بل إنهم قد جعلوا من أفهامهم الظاهرية تلك: معياراً تُقاس به صحة الإيمان، وسلامة العبادات والمعاملات، على نحو تضيق به الأفئدة، وتنفر منه الصدور!!

ومن هذا المنطلق الحرفي الضيق: انفتحت في الفكر الإسلامي - بل في التاريخ الإسلامي ذاته - أبواب واسعة من الشر المستطير؛ عبر مسالك ودروب فكرية متعرجة:

أولها: باب «التكفير» الذي تُرجم إلى دماء وأشلاء تحت ظلال الفهم البئيس لقضية الإيمان والكفر، ثم سرعان ما ارتفعت - تحت تلك الظلال الداكنة - أسِنَّة الإرهاب تأكل الأخضر واليابس، وتصبغ الإسلام كله - دين الرحمة والسكينة - بلون الدم القاني، وأُضحت كلمة الإسلام التي كانت مفتاحاً للقلوب والأرواح: مغلاقاً لها ومدعاة للفرع والرعب؛ ومرتبطة في الذهنية العامة بالدماء والأشلاء.

ثانيها: طغيان «الأشكال» على الأعماق، وغلبة المظهر على الجوهر، وسطوة القشور الظاهرة، أو «الأشكال والرسوم» - على حد تعبير الإمام الغزالي في (الإحياء) - على البواطن المستكنة، وقد انعكس هذا في غلظة

العقول وجفاف القلوب، وجلافة التصرفات، وجفاء التعاملات، وذلك أن «الحَرْفِيَّة في الفهم» تؤدي - في نهاية المطاف - إلى نضوب العواطف، وتيبس المشاعر، وجفاف الذوقيات، والتجافي عن الوجدانيات!!

ثالثها: إن تلك «الشكلانية» قد اتخذت في عصورنا الحاضرة منحني أكثر خطورة، ومساراً أبعد تأثيراً، وذلك حين توهمت بعض الاتجاهات الصاخبة في أيامنا هذه: أن استقامة المجتمع وصلاح حاله ليست - كما في التصور الإسلامي الصحيح - رهناً بإقامة موازين الحق والعدل في أرجاء الكون، بل انحصرت في نطاق الاستئثار بمقاليد السلطة، والاستحواذ على أزمّة الحكم، والهيمنة على أرائك السلطان!!

وهكذا انتهت «الحَرْفِيَّة» - الظاهرية - في فهم النصوص الكريمة من «السياسة الشرعية» القويمة المستقيمة إلى «لُعبة السياسة»، حيث تمّ توظيف تلك النصوص والأحداث المرتبطة بها في التاريخ الإسلامي: توظيفاً مُغرِضاً، والالتواء بها عن مقاصدها السامية إلى أن صارت أداة تُستخدَم في غلبة اتجاه بعينه: يخلط خلطاً شائهاً بين الدين ذاته بنقائه وصفائه، وبين «لُعبة السياسة» وخداعها وأحابيلها!!

وأقول: ألا يتفطن هؤلاء وأولئك إلى المقولة العربية الحكيمة: «الضد يغري بالضد»، وأن الغلو يبعث على مزيد من الغلو، فالوطن لا

يحتمل مزيداً من الشرر واللهب؟!!

ثم أقول: لئن كان ابن حزم الأندلسي صادقاً حين قال في (طوق الحمامة): «الأضداد أنداد»، أي أنها سواء في تطرف كلٍّ منهما إلى أقصى الطرف، فإنه لمن أصدق الصدق أيضاً أننا في أشد أزماننا احتياجاً إلى خطاب ديني رشيد نمسك فيه بجمع اليدين على «الحد الوسط» الذي يجمع محاسن الأضداد، وينأى عن مساوئها جميعاً، فلا تُهدّر قطيعات الشرع لحساب ظنيات العقل، ولا تُهدر - أيضاً - يقينيات العقل لحساب الفهم الحُرِّفي للنصوص، بل يلتئم من محاسنهما جميعاً سياق «الحد الأوسط» الجامع بينهما في تضافر وتكامل، فذلك «الحد الأوسط» هو الكفيل وحده بإطفاء سَعِير الفتنة، والإياب بالأمة إلى الوسط الحق دون غلوٍّ أو تقصير، كما أنه الصراط المستقيم الذي يسير بالسفينة إلى بر الأمان، ويوجّه دفتها إلى ترسيخ ما اهتز من منظومة القيم، وتقويم ما اعوجَّج من أنماط السلوك، فذلك أقوم قبلاً، وأهدى سبيلاً.

ثم أقول: كفانا إشعالاً لضرار الفتنة، وإذكاءً لنيرانها الملتهبة!!

محمد عبد الفضيل القوصي

القاهرة: ١٤٤٠ هـ





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### مُقَدِّمَةٌ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين،

وبعد

فقد جعلنا الله أمة واحدة؛ حيث قال في كتابه العزيز: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾<sup>(١)</sup>، وقال أيضا: ﴿وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾<sup>(٢)</sup>، وهذه الأمة تختلف فيما بينها اختلاف تنوع لا اختلاف تعاند، واختلاف التنوع ثراء للأمة؛ إذ له أسبابه التي يقوم عليها، ويستند إليها، ومن هنا كان التنوع في المذاهب الفقهية، وحتى النحوية، والأدبية، وغيرها مظهرا من مظاهر ثراء هذه الأمة، والتنوع سنة كونية وحتمية قرآنية، وقد أعلن ذلك الحق - سبحانه وتعالى - في القرآن الكريم إذ يقول: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً ۚ

(١) سورة الأنبياء، الآية رقم ٩٢.

(٢) سورة المؤمنون، الآية رقم ٥٢.

وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ ﴿١﴾؛ بل إن التنوع سنة الله في كونه أشار إليه في الكتاب الحكيم، قال تعالى: ﴿الْمُرْتَأَنَ اللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٍ ﴿٢٧﴾ وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَأَلْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ، كَذَلِكَ﴾ (٢)، فالتنوع سمة أساسية في الكون والإنسان، والتنوع ثراء جامع، والاختلاف في الرأي مرآة عاكسة لتنوع العقول، وقد أودع الله في كتابه المعجز ما يثري العقول، وينوع الرأي، ويجلي هذا البحث نقاطاً أربعة:

أولاً: مفهوم الفرقة الناجية.

ثانياً: التنوع سنة كونية، وفطرة إنسانية.

ثالثاً: الاختلاف والتوسعة على الأمة.

رابعاً: أهمية الاتحاد.

والله أسأله التوفيق والسداد في تجلية ماضى وبيانه، وصلى الله على

سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

(١) سورة هود، الآية رقم ١١٨-١١٩.

(٢) سورة فاطر، الآية رقم ٢٧-٢٨.

## مفهوم الفرقة الناجية

الفرقة الناجية: هي المتبعة لما كان عليه الرسول ﷺ، وأصحابه، فهي بقية السلف، والمتفردة باتباع الكتاب والسنة بين بقية الفرق التي عصفت بها الأهواء، وذهب بها الرأي والشبهات كل مذهب، وهم الذين يعملون لإقامة شرع الله في الأرض وتحكيم شرعه.

أساس المصطلح: هذا المصطلح استنبطه علماء الحديث من الحديث النبوي، وهو حديث مشهور ومعروف ومروى من طرق الفريقين، السنة والشيعة. وقد رواه الترمذي في سننه، بإسناده عن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: «لَيَأْتِيَنَّ عَلَى أُمَّتِي مَا أَتَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ حَذَوَ النَّعْلِ بِالنَّعْلِ... وَإِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ تَفَرَّقَتْ عَلَى اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ مِلَّةً، وَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ مِلَّةً، كُلُّهُمْ فِي النَّارِ إِلَّا مِلَّةً وَاحِدَةً»، قيل: من هي يا رسول الله؟ قال: «ما أنا عليه وأصحابي»<sup>(١)</sup>، وقد تكلموا على هذه الفرقة، وذكروا أنهم أهل السنة والجماعة وعدوهم فرقة واحدة؛ بل وأطلقوا عليهم الطائفة المنصورة أيضاً.

(١) سنن أبي داود حديث رقم ٢٤٦١، وحسنه ابن العربي في أحكام القرآن ٤٣٢/٣، والعراقي في تخريج الإحياء ٢٨٤/٣.

خطورة هذه الرواية: هذه الرواية وكل رواية تتضمن هذه العبارة، أو مضمونها (كلها في النار إلا واحدة)؛ أدخلت الفساد على الأمة، ومكنت للتفريق بينهم، إذ ادّعت كل فرقة أنها الناجية؛ بل يعد هذا الحديث المرتكز، والأساس لانطلاق ما يُعرف بعلم الملل والنحل، وهو يؤثر تأثيراً سلبياً بالغ الخطورة في وحدة الأمة، وتماسك أبنائها، فهو يعمّق الهوة، ويزيد الشقة، ويحول دون التقارب والتلاقي؛ إذ كيف يتقارب شخص مع شخص آخر هو في نظره من أهل النار؟، والخطورة هنا، أن يُتخذ كلام النبي ﷺ ستاراً للتفرقة، وإرهاباً فكرياً.

نقد الحديث سنداً ومتناً: تكلم كثير من أهل الحديث على سند الحديث:

### أولاً: نقد السند:

أ - ذكر الشوكاني في تفسيره هذا الحديث، ثم قال: «أما زيادة كونها في النار إلا واحدة، فقد ضعفها جماعة من المحدثين؛ بل قال ابن حزم: إنها موضوعة»<sup>(١)</sup>.

ب - روي هذا الحديث عن أبي هريرة مرفوعاً، وفي سننه محمد

(١) فتح القدير ٢/ ٦٨.

بن عمرو بن علقمة وهو ضعيف، قال ابن حبان عنه: يخطئ، وقال ابن معين: مازال الناس يتقون حديثه، وقال ابن سعد: يستضعف، وروي أيضا عن معاوية مرفوعا وفي سنده أزهر بن عبد الله الهوزني أحد كبار النواصب الذين كانوا ينتقصون سيدنا عليا وله طامات وويلات، وروي عن أنس بن مالك من سبعة طرق كلها ضعيفة لا تخلو من كذاب، أو وضاع، أو مجهول<sup>(١)</sup>؛ لذا تغدو دعوى تواتر الحديث مجازفة.

ج - كما أن هذا الحديث له روايات كثيرة منها المكذوب كالوارد بلفظ: «تفترق أمتي على سبعين أو إحدى وسبعين فرقة، كلهم في الجنة إلا فرقة واحدة قالوا: يا رسول الله من هم؟ قال: الزنادقة وهم القدرية»، وهذا الحديث بهذا اللفظ مكذوب على رسول الله ﷺ<sup>(٢)</sup>.

### ثانياً: نقد المتن:

أ - الاختلاف في عدد فرق أُمَّته؛ حسب اختلاف الروايات: ففي بعض طرق الحديث، ورد أن أُمَّته ﷺ ستفترق على اثنتين وسبعين فرقة، وفي بعضها أنها ستفترق على ثلاثٍ وسبعين فرقة، وبعضها يشير إلى

(١) صحيح شرح الطحاوية للشيخ حسن السقاف ص ٦٢٩.

(٢) الضعفاء للعقيلي ٤/ ٢٠١. والموضوعات لابن الجوزي ١/ ٢٦٨.

افتراقها إلى ثلاث فرقٍ أو أربع.

ب - اختلف المصنفون في الملل والنحل، في عدد الفرق: فواقع الفرق الإسلامية لا يمكن التعبير عنه بأى حال من الأحوال بالعدد ثلاث وسبعين فرقة، فهي عند الأشعرى تزيد عن المائة، والشهرستاني عدهم ستا وسبعين فرقة، وابن حزم عدهم خمس فرق، والملطى عدها أربعاً، والقاضي عبد الجبار عدها خمساً، والخوارزمي عدهم سبعاً، ولو نظرنا إلى امتداد الزمان لوجدناها تزداد على مر الزمن .

ج - أن الحديث يتصل بالعقيدة وبالغيبات: وهي لا تثبت لأحاديث الآحاد، وقد نزه البخاري ومسلم صحيحهما من هذا الحديث، فلم يتحقق شرط الصحة في السند عندهما. والحديث ينص على أن الفرق كلها من أهل النار، وأن فرقة واحدة في الجنة. فالحديث حديث آحاد (أى: أن عدد سلاسله السندية قلّت عن عشر سلاسل) وليس متواتراً، وشرط التواتر اشترطه غالبية فقهاء الأمة من شافعية وحنفية ومالكية، بل وحنابلة وغالبية متكلمي الأمة وعلمائها عند الاستدلال بحديث في أمور العقائد. ولا يوجد إلا «أهل الحديث» وعلى رأسهم الإمام أحمد بن حنبل وبعض العلماء المعاصرين الذين يكتفون

بكون الحديث أحادا فقط في الاستدلال به في أمور العقائد، ومن الحنابلة من اشترط التواتر، وعليه فلا يعتد بهذا في أمور العقائد، وفوق ذلك فالحديث إن صح فهو صحيح لغيره، هذا والحديث الصحيح يخلو من جملة «كلها في النار إلا واحدة».

د - الاختلاف إلى حدّ التباين في توصيف الفرقة الناجية والفرق الهالكة وتحديدتهما: فأهل السنّة جعلوا الفرقة الناجية هي أهل السنّة، والمعتزلة جعلوها فرقة المعتزلة، والأمر عينه نجده في تحديد الفرق الهالكة أو بعضها، ففي بعض الأخبار، ترد جملة «من أعظمها - أي الفرق الهالكة - فتنة على أمّتي، قوم يقيسون الأمور برأيهم، فيحلّون الحرام ويحرّمون الحلال»، في إشارة إلى أتباع أبي حنيفة، وبعضها يستثني من الناجين الزنادقة؛ بل إن بعضها أدخل في آخر الحديث عبارة «من أخبثها الشيعة».

هـ - خالفة متن الحديث للقرآن الكريم: وذلك في قوله تعالى بشأن هذه الأمة: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾<sup>(١)</sup>، وقوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾<sup>(٢)</sup>، فهذه الآيات تقرّر أن هذه الأمة هي خير الأمم،

(١) سورة آل عمران، الآية رقم ١١٠.

(٢) سورة البقرة، الآية رقم ١٤٣.

وأنها أوسطها، أي: أعدلها وأفضلها. وأمّا الحديث المذكور، فيقرّر أنّ هذه الأمة شرّ الأمم، وأكثرها فتنةً وفساداً وافتراقاً؛ فاليهود افترقوا على إحدى وسبعين فرقة، ثم جاء النصارى فكانوا وفق منطق الحديث، شرّاً من ذلك وأسوأ، حيث افترقوا على اثنتين وسبعين فرقة، ثم جاءت هذه الأمة، فكانت أسوأ وأسوأ، حيث افترقت على ثلاثٍ وسبعين فرقة، فمعنى الحديث يعارض صريح القرآن الكريم الذي يقرّر أنّ هذه الأمة خير الأمم وأفضلها.

و - مخالفة متن الحديث للسنة الصحيحة: منها ما رواه البخاري: «إنّ الله حرّم على النار من قال أن لا إله إلا الله يبغي بذلك وجه الله»، وفي لفظ مسلم: «لا يشهد أحدٌ أن لا إله إلا الله، وأنّ محمداً رسول الله، فيدخل النار أو تطعمه».

ز - اختلاف المراد بعبارة كلها في النار إلا واحدة: لا يخرج المراد عن أمرين: فإنّ أريد الخلود، فهو مخالف للإجماع؛ على أنّه لا يُخلد في النار إلا المشركون والكافرون وإن أُريد مجرّد الدخول، فهو مشترك بين الفرق كلّها؛ إذ ما من فرقةٍ إلا وبعضها عصاة.

ل - اختلاف المراد بعبارة كلها في النار إلا واحدة: لا يخرج المراد



عن أمرين: فإن أُريد الخلود، فهو مخالف للإجماع على أنه لا يُخلد في النار إلا المشركون والكافرون وإن أُريد مجرد الدخول، فهو مشترك بين الفرق كلّها؛ إذ ما من فرقة إلا وبعضها عُصاة.

ح - معنى لفظ الأمة في الحديث: يبين العالم المرحوم د/ محمد أحمد المسير مفهوم الأمة في الحديث بأنها هو «أمة الدعوة»، وليست «أمة الإجابة». وأمة الدعوة المقصود بها: هو كل البشر الذين أرسل الله النبي إليهم بالدعوة، وأمة الإجابة: هم الذين أجابوا النبي ﷺ إلى الإسلام، وبافتراض أن المقصود بالأمة هو «أمة الإجابة»، فإن انحصار الصواب في فرقة واحدة من الأمة، والتسليم بكل آرائها هو غير ممكن؛ إذ كل الفرق فيها الصواب والخطأ، والميزان الصحيح هو أن ترد المسائل مسألة مسألة إلى كتاب الله وسنة رسوله.





## التنوع سنة كونية، وفطرة إنسانية

إن كون الله بني على التنوع، والقرآن العظيم هو كتاب الله الناطق، وكون الله هو كتابه الصامت، وإذا ما جعلنا الذكر الحكيم هادينا في النظر إلى كون الله، وانتفعنا بتأمل كون الله في فهم كتاب الله اهتدينا إلى الفهم الصحيح لآيات الذكر الحكيم، لم لا؟! وقد خرجا من مشكاة واحدة، وقصدا إلى وجهة واحدة هي هداية الخلق، ألم يقل ربنا: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ <sup>(١)</sup> ألم يذكر في غير آية أنه سخر مخلوقاته لخدمة الإنسان، وحسبك فقط مراجعة سورة النحل، فقد بين أهل الصفاء من العلماء أن آياتها متظاهرة على بيان دلائل قدرة الله، خذ من ذلك قوله: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِ رَبِّكَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ <sup>(٢)</sup> وما ذرا لكم في الأرض مَخْلُفًا لَّوْنَهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ <sup>(٣)</sup>.

وقد بنى الله كونه على التنوع فالليل والنهار مختلفان، والحر والبرد متضادان، والذكر والأنثى متقابلان، وهذا التنوع أساس انسجام

(١) سورة الذاريات، الآية رقم ٥٦.

(٢) سورة النحل، الآية رقم ١٢-١٣.

الكون، فلولا الذكر والأنثى ما استمر التناسل، ولولا الليل والنهار ما استقر للناس قرار، وهذا التنوع تنوع تعانق، لا تنوع تعاند، والناس كذلك مختلفون اختلاف ثراء، لا اختلاف عدا، اختلاف تلاحم، لا اختلاف تراحم، وقد جلّت الآية الكريمة هذا المعنى ﴿الْمُرْتَأْنَ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ۚ وَمِنَ النَّاسِ وَالْدَوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ، كَذَلِكَ﴾<sup>(١)</sup>، وقد بينت الآية من سورة الحجرات شيئاً من مقاصد هذا الاختلاف ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاهُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾<sup>(٢)</sup>، فمن مقاصد الاختلاف التواصل لا التقاطع، التلاقي لا الفراق.



(١) سورة فاطر، الآية رقم ٢٧-٢٨.

(٢) سورة الحجرات، الآية رقم ١٣.

## الاختلاف والتوسعة على الأمة

تعددت الآراء منذ عهد النبوة؛ لأن النصوص حمالة أوجه، والقرآن العظيم أنزل بلسان عربي مبين، كما أن النصوص محدودة، والوقائع غير محدودة، فاتسعت النصوص؛ لتستوعب سعة الأمكنة والأزمنة والوقائع، والاختلاف اختلاف تعدد وتنوع، وكما قالوا: الخلاف في الرأي لا يفسد للود قضية، لذا، نورد تعريف الرأي :

الرأي: هو ما يراه القلب بعد فكر وتأمل وطلب؛ لمعرفة وجه الصواب، مما تتعارض فيه الأمارات، هكذا ذكره ابن القيم في أعلام الموقعين عن رب العالمين، ولو حذفنا القيد الأخير من التعريف (مما تتعارض فيه الأمارات) لكان أشمل تعريف للرأي، وللشيخ أبو زهرة -رحمه الله- في كتابه تاريخ المذاهب الإسلامية تعريف جيد للاجتهاد بالرأي فهو عنده: تأمل وتفكير في تعرف ما هو الأقرب إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ سواء أكان يتعرف ذلك الأقرب من نص معين، وذلك هو القياس، أم الأقرب إلى المقاصد العامة للشريعة، وذلك هو المصلحة. وقد لخص الإمام الأكبر الشيخ شلتوت الأمور التي ترجع إليها

حجية الرأي ورفع الخلاف وهي:

١- أقرّ القرآن الكريم مبدأ الشورى سبيلا إلى استخلاص الحق بقوله: ﴿وَأْمُرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾<sup>(١)</sup>.

٢- أمر القرآن الكريم برد المتنازع فيه إلى أولى الأمر (أهل الاستنباط والفهم) في قوله: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾<sup>(٢)</sup>.

٤- إقرارات النبي ﷺ لأصحابه الكرام -رضي الله عنهم- الذين كان يرسلهم إلى الأقاليم البعيدة، والمناطق النائية على الاجتهاد، والأخذ بالرأي فيما لم يجدوا حكمه وبيانه في الكتاب والسنة.

ورحم الله أمير المؤمنين عمر بن الخطاب -رضي الله عنه - حينما بين أن كل رأي بعد رأي رسول الله ﷺ قابل للنقد، وذلك في قوله -وهو على المنبر- فيما أخرجه أبو داود في سننه كتاب الأقضية باب في قضاء القاضي إذا أخطأ: «يا أيها الناس إن الرأي إنما كان من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مصيبا؛ إن الله كان يريه، وإنما هو منا الظن والتكلف».

(١) سورة الشورى، الآية رقم ٣٨.

(٢) سورة النساء، الآية رقم ٨٣.

## الاختلاف المحمود:

ورد ذلك في عدة مواضع من الذكر الحكيم، من ذلك قوله تعالى: ﴿مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لَيْنَةٍ أَوْ تَرَكْتُمْ هَاقِئَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ﴾<sup>(١)</sup>، وقد كان الصحابة يختلفوا في قطع الأشجار وهدم البيوت على بني النضير، فقطع قوم منهم وترك آخرون، قال الإمام الماوردي فيما نقله عنه القرطبي: إن في هذه الآية دليلاً على أن كل مجتهد مصيب<sup>(٢)</sup> وقوله تعالى ﴿وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ﴾<sup>(٣)</sup> ففهمناها سليمان وكلاً ءاتيناهما حكماً وعلماً<sup>(٤)</sup> وكان الحكماء مختلفين.

وعن عبد الله بن مسعود أنه سمع رجلاً يقرأ آية سمع النبي ﷺ قرأ خلافها، قال: فأخذت بيده فانطلقت به إلى النبي ﷺ فقال: «كلاكما محسن»<sup>(٥)</sup>، وحديث «لا يصلين أحد العصر إلا في بني قريظة مشهور»، وفي الحديث الذي رواه الشيخان، قال رسول الله ﷺ: «إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران، وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر»<sup>(٥)</sup>.

(١) سورة الحشر، الآية رقم ٥.

(٢) ينظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٨/٨.

(٣) سورة الأنبياء، الآية رقم ٧٨-٧٩.

(٤) رواه البخاري حديث رقم ٧٣٥٢.

(٥) رواه البخاري حديث رقم ٧٣٥٢ ومسلم ٣/١٣٥٢.

## الاختلاف المذموم :

هو ما كانت عليه الأمم السابقة، وقد نهى الله الأمة عنه قال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾<sup>(١)</sup>، فالاختلاف المذموم هو ما كان بدافع اتباع الهوى، وشهوة النفس، أو كان ضد الدين وحراسته وصيافته.

## تنوع الرأي وثراء الفكر:

إن العقل الحر يتأبى على القيد، وشرعية الإسلام تمنح العقول الأبية المجال أرحب في التفكير؛ بل يعدّ القرآن العظيم التأمل عبادة، ويتوعد من لم يتفكر، ويجعل الشورى من صفات المؤمنين، ويجعل ذكرها بين العبادات. تأمل ﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾<sup>(٢)</sup>، فقد ذكر الشورى بين ركنين من أركان الإسلام، الصلاة والزكاة، والشورى من ضمانات الحريات، وهي مما يعين الأمة على مقاومة الاستبداد، ولا يمكن أن تنمو الشورى؛ إلا في ظل الحرية، وقد تحدث القرآن عن العلم بما لم يتحدث عنه كتاب

---

(١) سورة آل عمران، الآية رقم ١٠٥.

(٢) سورة الشورى، الآية رقم ٣٨.



آخر، وفي السنة المطهرة أكثر من ستين حديثاً صحيحاً، يتحدث عن العلم وأهله، وقد تنوعت في الذكر الحكيم مواد العلم والفقه والعقل والتفكير، ونعى القرآن العظيم الغفلة والغافلين، فمجالات الحرية أمام العقل منفسحة مبسطة، وقد وعى السلف الصالح هذا، فكان ذلك أعظم ثراء للفكر الإسلامي، فوجدت المذاهب الفقهية، وقد كان لتلميذ الفقيه آراء تخالف أستاذه، يبصر ذلك من يطالع فقه أبي حنيفة - رضي الله عنه -، ومخالفة تلاميذه محمد وأبيوسف وزفر في بعض المسائل؛ بل ترى مخالفة الفقهاء بعضهم بعضاً، ولولا ما كفله الإسلام من حرية الرأي ما كان هذا التنوع، وقل مثل ذلك في تراث المفسرين، فهم مدارس شتى مدرسة التفسير بالمأثور، ومدرسة الرأي، وتراثهم لا يحصيه العادّ، كما وجدت اتجاهات المتكلمين، ومدارس اللغويين، بصريين وكوفيّين وبغداديين وأندلسيين، وورث الأزهري الشريف هذا التراث المتنوع الناتج عن حرية الرأي، وصار هو رسول بلاغه في العالمين، وكعبة العلم للقاصدين، يغدون إليه من كل بقاع الأرض جيعاً، ويروحون عنه بطاناً، قد اكتسبوا حرية الرأي، ومارسوا ذلك عملياً، وأبصروا ذلك في التراث جلياً، فلم يعرفوا الانغلاق على مذهب واحد، ولم يجربوا الأسر لرأي واحد، وإنما يتعلمون الأخذ والرد، لا يجبرون على اعتناق

رأي، ولا يأبون النظر في رأي المعارضين، فهم يدرسون مذاهب الفقه، ومعتقدات الفرق، ومدارس المفسرين، وطرائق المحدثين، مما جعله متفردا في العالم الإسلامي.



## أهمية الاتحاد

الوحدة مطلب عام، والخلاف فقط في وسائل تحقيقها، ووحدة الأمة الإسلامية ثمرة الاعتصام بحبل الله، وقد جعلنا الله أمة واحدة، حيث قال في كتابه العزيز ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾<sup>(١)</sup> وقال أيضًا: ﴿وَلِئَلَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾<sup>(٢)</sup> وأمرنا بالاتحاد في قوله تعالى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾<sup>(٣)</sup>، والأمة كما قال المناوي - رحمه الله - بالأمة: هي كل جماعة يجمعها أمر؛ إما دين أو زمن أو مكان واحد سواء كان الأمر الجامع تسخيرًا أم اختيارًا<sup>(٤)</sup>، والأمة التسخيرية كأمة الطير ﴿وَمِمَّنْ دَابَّتْ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَيْرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَلُكُمْ﴾<sup>(٥)</sup> والأمة الاختيارية: كل مجتمعين على دين أو مذهب قال تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾<sup>(٦)</sup>.

(١) سورة الأنبياء، الآية رقم ٢٥.

(٢) سورة المؤمنون، الآية رقم ٥٢.

(٣) سورة آل عمران، الآية رقم ١٠٣.

(٤) ( التوقيف على مهمات التعاريف ٩٤.

(٥) سورة الأنعام، الآية رقم ٣٨.

(٦) سورة النساء، الآية رقم ٤١.

مفهوم وحدة الأمة الإسلامية: هي اجتماع المتسبين إلى الإسلام على أصول الدين وقواعده الكلية.

وتمتلك هذه الأمة مقومات الوحدة بما لم تملكه أمة أخرى للأسباب الآتية:

١- وحدة العقيدة: فجميع أركان الإيمان واحدة، فلا اختلاف في أصول الدين.

٢- وحدة الشرائع والشعائر: فكل الفرق متفقة في أصولها، تختلف في فروعها.

٣- وحدة المصادر: فالأحكام مبناها الكتاب، والسنة عند الفرق الإسلامية.



## نتائج البحث

وبعد هذا الإبحار نلقي عصا التسيار، وننتهي إلى نتائج منها :

- ١- أن حديث الفرقة الناجية ليس صحيحا سنداً ولا متناً، ودرجته لا يتيح الاستدلال به على العقائد.
- ٢- أن حديث الفرقة الناجية له توجيهات يصدقها الواقع، والعقل كمفهوم الأمة، ومفهوم الدخول في النار.
- ٣- أن تعدد الآراء، والمذاهب حتمية قرآنية، مطابقة للسنة الكونية.
- ٤- أن الاختلاف منه محمود، ومنه مذموم.
- ٥- أن اتحاد الأمة مطلب شرعي، وتوجيه قرآني، وأن التعدد يثريه لا يلغيه، ويقويه ولا ينضيه.
- ٦- أن الأمة الإسلامية تمتلك مقومات الوحدة القوية الفاعلة.
- ٧- يجب تعزيز العلاقات الإيجابية بين أهل المذاهب الإسلامية.

٨ - يجب نقد الطائفية ومقاومتها بكل الوسائل المتاحة، بل هي مما

يجب بذل الجهود لوأدها.



## الفهرس

٥.....	تقديم أ. د. محمد عبد الفضيل القوصي
٩.....	مقدمة الكتاب
١١.....	مفهوم الفرقة الناجية
١٢.....	أولاً: نقد السند
١٣.....	ثانياً: نقد المتن
١٩.....	التنوع سنة كونية، وفطرة إنسانية
٢١.....	الاختلاف والتوسعة على الأمة
٢٣.....	الاختلاف المحمود
٢٤.....	الاختلاف المذموم
٢٤.....	تنوع الرأي وثراء الفكر
٢٧.....	أهمية الاتحاد
٢٩.....	نتائج البحث
٣١.....	الفهرس